

## العفو في حياة الرسول ﷺ

بقلم: أ.د. عادل بن علي الشدي

لَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهِ ﷺ بِالْعَفْوِ عَنِ النَّاسِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ تَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ الْعَفْوَ وَيَمِيلُ إِلَى الصَّفْحِ وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى الْعُقُوبَةِ إِلَّا إِذَا تَحْتَمَّتْ وَصَارَتْ لِرِزَامًا. وَمَوَاقِفُ الْعَفْوِ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ، مِنْهَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَفْوِهِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ بَعْدَ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ.

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: "مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" قَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ؛ إِنْ تَقَتَّلْتَ تَقَتَّلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تَنَعَّمْتَ تَنَعَّمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ، فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ لَهُ: "مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ؛ إِنْ تَقَتَّلْتَ تَقَتَّلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تَنَعَّمْتَ تَنَعَّمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ، فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْغَدِ فَقَالَ لَهُ: "مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟" قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ؛ إِنْ تَنَعَّمْتَ تَنَعَّمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقَتَّلْتَ تَقَتَّلَ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ، فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ" فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاسْتَسَلَّ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ يَا مُحَمَّدُ! وَاللَّهِ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ. وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ. وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟

فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ.

فلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصْبَوْتَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسَلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا وَاللَّهِ لَا تَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٌ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. [متفق عليه].

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ الْعَفْوُ مُغَيَّرًا لِلْقُلُوبِ، وَمُبَدَّلًا لِلْأَحْوَالِ، وَشَارِحًا لِلصُّدُورِ، وَمُبَدِّدًا لظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَضَلَالَاتِ الْإِشْرَاكِ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ عَفْوِ النَّبِيِّ ﷺ: عَفْوُهُ عَنِ الْمَرْأَةِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي وَضَعَتْ لَهُ السَّمَّ فِي الشَّاةِ، فَأَكَلَ مِنْهَا ﷺ فَلَمْ يُسْغَهَا، ثُمَّ قَتَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ بِبِشْرِ ابْنِ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الَّذِي أَكَلَ مِنْهَا فَأَسَاغَهَا، فَمَاتَ مِنْ أَثَرِ السَّمِّ، فَقَتِلَتْ بِبِشْرِ قِصَاصًا.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ عَفْوِ النَّبِيِّ ﷺ مَا رَوَاهُ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ<sup>(١)</sup> رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ<sup>(٢)</sup>، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمْرَةٍ<sup>(٣)</sup>، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ.

قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا، فَجِئْنَا، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِي صَلْتًا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَهَا هُوَ جَالِسٌ" ثُمَّ لَمْ يَعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ].

الأمين العام المساعد

لرابطة العالم الإسلامي

(١) قفل: رجع.

(٢) العضاه: كل شجر عظيم الشوك.

(٣) سمرة: شجرة.